International Crisis Group
WORKING TO PREVENT CONFLICT WORLDWIDE

موجز سياسي

موجز حول الشرق الأوسط – رقم27
دمشق / بروكسل، 15 كانون الثاني/ يناير 2009

التحاور مع دمشق؟ دروس التجربة الفرنسية

I. ملخص

كيف سيتم التحاور مع دمشق؟ يطرح هذا السؤال في الوقت الذي تعكف فيه الإدارة الأمريكية القادمة على دراسة خيارتها حيال الموضوع، و في الضاهر فإن أي تقارب بين الولايات المتحدة و سوريا إضافة إلى معاهدة سورية إسرائيلية سوف تغير معطيات المنطقة بصورة جوهرية، و في هذا السياق فإن التجربة الفرنسية تقدم دروسا هامة تستحق التفكير و التأمل. إنها تجربة التزمت بدفع الحوار و لكنها بذات الوقت مستعدة لقطعه، وهي تجربة خلاقة في مقاربتها التي تحددت ضمن إطار معروف و واضح، كما تميزت فرنسا في هذه التجربة عبر تلمس الفرص غير المرئية عندما تصبح مهياة و جاهزة.

بعد فترة من القطيعة و المواجهة التي وصفت بالشديدة بين باريس و دمشق، فإن التلاقي بين الطرفين بدا غير مؤكد بل صعبا للغاية على الرغم من قدوم رئيس فرنسي غير نموذجي و مستعد للحوار إضافة إلى كونه متلهف للتمايز عن إرث سلفه كما انه يفضل البراغماتية عن الإيديولوجيا. إن التجربة الفرنسية مع سورية تميزت بكونها انتقلت من موقع إلى آخر أي من طرفي نقيض و لم تخضع لمخطط مسبق و محكم بل سلكت حافة الهاوية بمعنى إبداء مرونة عالية و بذات الوقت إعادة فحص دائمة لكل خطوة و تميزت بفترات اتصال و تواصل كثيفة كما بانقطاع عميق و جذري.

و في الوقت الذي تبحث فيه فرنسا في ارتدادات ما يحدث في غزة على مجمل الصراع العربي الاسرائيلي و السيادة اللبنانية أو مكافحة الارهاب و أيضا ما يتعلق بالملف النووي الإيراني فإن مقاربتها تسلك الطريق دائما و تظل في كثير من الحالات غير محددة المعالم. و بنظر الولايات المتحدة لم تكن هذه المنهجية صالحة أو فعالة إلا إذا أضهرت بالملموس عن المسائل التي يمكن أن تكون فيها شريكا ذو مصداقية و عنصر استقرار في المنطقة.

و ستشكل هذه الحالة إحدى التحديات في الأسابيع و الأشهر القادمة، و خلال هذه الفترة تستطيع كل من دمشق و باريس بلورة الخطوط العريضة لتطبيع العلاقات على الأقل في ثلاثة ملفات هامة: ففي لبنان يكمن التحدي الرئيسي في تقليص كافة الأخطار التي يمكن ان تعود بالأوضاع إلى المواجهة من جديد و ذلك عبرالاستجابة الواقعية للمطالب الأكثر شرعية للأغلبية الحالية في الحكومة اللبنانية، كمسألة ترسيم الحدود بين سوريا و لبنان، مراجعة الاتفاقيات البينية الموقعة أيام الهيمنة السورية على لبنان و القبول بمبدأ الوساطة الدولية فيما يتعلق بالمفقودين اللبنانيين في السجون السورية.

و في العراق يمكن لفرنسا ان تعتمد على شبكة قوية من العلاقات بنتها سوريا، و يمكن لفرنسا أن تقوم بدور الكشاف لإدارة أوباما باتجاه الانفتاح و التحاور مع جزء مهم و ذي تمثيل واسع للعرب السنة، و بصورة خاصة تلك الأوساط التي لاتزال خارج العملية السياسية و خارج ظاهرة الميليشيات القبلية أوالصحوات. إن دور الوساطة الذي يمكن أن تضطلع به فرنسا في هذا الموضوع يمكن أن تساهم في إطلاق تعاون بين واشنطن و دمشق الذي سوف لن ينحصر بالتاكيد حول الفكرة الوهمية ل"إغلاق" الحدود السورية-العراقية.

الملف الثالث و الأخير يتمحور حول المسألة الفلسطينية. إذ أن الصراع الدائر حاليا في غزة يوفر لباريس فرصة لتفحص جاهزية دمشق لممارسة تأثير إيجابي على حركة حماس، ضمن سياق الوصول إلى وقف عملي لإطلاق النار، لقبول حل عادل و قابل للحياة مع حركة فتح أو الموافقة على خطة السلام العربية إذا كان ذلك آخر عقبة أمام حكومة وحدة وطنية. لذلك يجب على فرنسا أن تتبنى مقاربة أوروبية تتكامل مع الجهود الامريكية و لا تكون بديلا عنها، مقاربة تبحث في السبل الممكنة و الشروط الضرورية للتحاور مع الحركة الإسلامية.

تلك هي نجاحات و حدود التجربة الفرنسية، المتميزة بالحيوية و أحيانا بالحدسية و في بعض الحالات تتصف بالتناقض، و مع ذلك فهي تجربة غنية مليئة بالدروس للإدارة الامريكية.

- في البداية و بعد مرحلة طويلة من العلاقات المقطوعة، يصبح من الضروري- أو هكذا يفترض- الانتظار امام مرحلة من المراقبة المتبادلة و فحص إمكانيات و فرص إعادة بناء علاقات الثقة، و بعد ذلك و حتى تتهيأ الظروف لنجاح الحوار يجب أن توضع أهداف واضحة و ثابتة و ليس عبر قائمة من التمنيات المتقلبة. بالنسبة لباريس كان الهدف واضحا و تمثل بصورة خاصة بانتخاب رئيس توافقي في لبنان، وهو هدف تم تحديده عبر اختيار ميشال سليمان رئيسا توافقيا.
- كما يجب، و بصورة موازية، أن يكون هناك قدر من الصبر في مرحلة التفاوض بقدر التحرك بالسرعة اللازمة حين تبرز الفرصة المناسبة، إن التسرع الذي صبغ التحرك الفرنسي عام 2007 عندما أطلق الرئيس ساركوزي حزمة سياسية شاملة و على كل الصعد، فإنها ف ي أحسن الحالات لم تكن مفيدة و أما في أسوئها فإنها شجعت دمشق على زيادة التصلب في مطالبها إضافة أن ذلك مكنها من ربح الوقت. و بالمقابل عندما سعت فرنسا إلى مكافأة سورية على أولى إشاراتها فإنها أكدت مصداقيتها و حملت دمشق على الانخراط في العملية بصورة أكثر تقدما. إضافة إلى ذلك يجب عدم التردد في قطع الحوار إذا كانت الأحداث

تبرر ذلك و لكن يجب ان يترافق ذلك مع الابقاء على خطوط اتصال مفتوحة و ذلك للتحرك بسرعة عندما تتوافر من جديد شروط الانفتاح. إن الادارة الامريكية القادمة يمكنها أن تستلهم من مقاربة حيث كل تقدم تتم مكافأته و كل تراجع يتعرض للعقاب.

- و في النهاية هناك البعض في الولايات المتحدة يحلمون بقطع العلاقات السورية-الإيرانية، فإن ذلك لن يحدث على الأقل ضمن المعطيات الحالية. و لكن يجب أن نىحظ جب أن نىحظ أن سوريا عندما بدأت تلعب ورقة التقارب مع فرنسا أظهرت استعدادا كبيرا لتوسيع تحالفاتها الاستراتيجية، إن هكذا تنوع يجب أن يلقى تشجيعا من قبل الإدارة الأمريكية فهو سيسمح بصورة خاصة بإضعاف أهمية إيران بعيون دمشق و يساعد عملية التقدم في إعادة تعريف و تحديد الحلفاء الاقليميين لسوريا.

إن العلاقات بين إدارة أوباما و سوريا سوف تمر بظروف صعبة دون شك، فإضافة إلى الموضوعات المثيرة أصلا للتوتر و القائمة حاليا كالتحقيق الذي تجريه وكالة الطاقة الذرية حول المزاعم عن برنامج نووي سوري أو ما يتعلق بالمحكمة الدولية الخاصة بمقتل رفيق الحريري، فإن هذه العلاقات عرفت بالأصل في الماضي حالة غير صحية مليئة بعدم الثقة و سوء التفاهم وهو الامر الذي زادته إدارة بوش قتامة و لكنها في الحقيقة لم تخلقه، ضمن هذا السياق فإن فريق أوباما سوف يكون مخطئا إذا لم يستلهم دروسا من تجربة ساركوزي.

II. ما يمكن أن تقوم به باريس

تدخل غدارة أوباما البيت الأبيض وهي مسلحة بمجموعة من الأهداف الطموحة في الشرق الأوسط: الانسحاب من العراق، الحوار مع طهران، تعليق برنامج تخصيب الأورانيوم الإيراني، متابعة و تسريع عملية السلام الإسرائيلية-الفلسطينية، المساهمة في المفاوضات السورية-الإسرائيلية، حماية السيادة اللبنانية و إعادة بناء المصداقية الأمريكية في المنطقة. في سياق هذه الاجندة يعتقد العديد من المراقبين الأمريكيين، و من بينهم شخصيات مقربة من الرئيس الجديد، أن سوريا يمكن أن تلعب دورا مركزيا لن يكون إلا مرتبطا بقدرتها الاضرار بالملفات القائمة في المنطقة.

فرنسا يمكنها أن تقدم مثالا هاما لأولئك الذين يبحون عن كيفية مباشرة الحوار مع سوريا، من الطبيعي أن المقارنة بين الولايات المتحدة و فرنسا لها حدودها، إذ أن فرنسا من حيث هي القوة القديمة المنتدبة على سوريا فإنها تنظر إلى علاقتها مع دمشق ليس فقط من زاوية المصالح المعاصرة بل أيضا من خلال تلك الروابط التاريخية العميقة كما ان هذه النظرة تجد ترابطا أكيدا مع الرؤية الفرنسية للبنان و مكافحة الارهاب و مسألة الصراع العربي-الإسرائيلي إضافة إلى الملف النووي الإيراني. و بالنهاية فإن هذه العلاقة تبدو مختلفة إلى حدود بعيدة عن تلك القائمة بين واشنطن و دمشق.[1]

في الولايات المتحدة ينظر إلى العلاقات مع دمشق بنوع من التشويق و لكن ضمن سياق سلبي، ذلك أن صورة سورية – وهي بلد بعيد حيث كانت التفاعلات معها نسبيا محدودة – مشوهة إلى حدود بعيدة عبر الإحساس بأن المواقف السورية مؤذية بصورة عميقة للمصالح القومية الامريكية وهي مسؤولة عن مقتل أعداد كثيرة من الأمريكيين في لبنان و أخيرا في العراق.و بذات الوقت و منذ انتخاب جورج دبليو بوش، كان ينظر إلى سوريا من حيث هي لاعب قليل الأهمية و لكن يجب إضعاف قدراته التي تهدد الاستقرار.[2] و لذلك فإن إقامة علاقات مع هذا اللاعب ليست – من حيث الجوهر- هدفا بحد ذاته، بقدر ما هي إعطاء فرصة لإدارة ملفات أخرى و بصورة خاصة إضعاف حلفاء سوريا الآخرين : إيران، حزب الله و حماس. يشكل العراق أهمية قصوى للإدارة الأمريكية وهو بذلك يمثل حالة مختلفة: فإذا كانت الولايات المتحدة ستحاول تشجيع سوريا بعدم التخل في شؤون جاره فإنهم سوف لن يهتمون بقدرة دمشق على لعب دور بناء هناك، و أخيرا فإن الأمريكيين قرروا منذ فترة معارضة أي طموحات هيمنة سورية على لبنان.

أما النظرة في فرنسا فهي مغايرة تماما، إذ تشكل سوريا موضوع ارتباط عاطفي إلى حد التناقض، فإذا كان هناك شعور بالريبة من النظام السوري لدى العديد من المراقبين السياسيين الفرنسيين[3]، فإن العكس صحيحا أيضا إذ منذ بداية التقارب بين دمشق و باريس فإن شكلا من "اللوبي" بدأ يطفو على السطح بين النواب كما في أوساط القطاع الخاص[4]. و على المستوى الاستراتيجي

---

[1] أنظر تقرير مجموعة الأزمات الذي سيصدر حول العلاقات السورية الأمريكية.

[2] «تعتمد الولايات المتحدة تقليديا القوى الإقليمية الي هي إسرائيل و مصر و العربية السعودية كنواب لسياستها. لم تحمل تلك القائمة اسم سورية أبدا، وهي تبدو كبلد صغيرو لكن بالتأكيد مثير للقلق» لقاء لمجموعة الأزمات مع مسؤول سوري، دمشق، ديسمبر-كانون الأول 2008.

[3] في ظل الحكومة الحالية فإن الشكوك تم التعبير عنها في وقت قريب و كان ذلك أثناء تموز 2008 عندما قام الرئيس السوري بزيارة باريس للمشاركة في قمة الاتحاد من أجل المتوسط.« إني اعلن معارضتي دعوة بشار لحضور احتفالات 14 تموز التي أثارت غضبا في البرلمان حتى في صفوف الأغلبية، و لكم مع ذلك فإن بداية المفاوضات السورية الاسرائيلية ساهمت إلى حدود بعيدة بإقناعي بأهمية الحوار مع سورية» لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي كبير، باريس تشرين الثاني 2008.

[4] لقد توقع مسؤول فرنسي منذ تشرين الثاني 2007 أن العلاقات مع سوريا سوف تتعمق مع سوريا حال التوصل إلى حل في لبنان « يوجد في فرنسا العديد من الناس الذين يعتقدون بأهمية سوريا، و يطالبون بأن تطوى هذه المرحلة و العودة إلى الوضع الآخر» لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي، دمشق تشرين الثاني 2007. كما عاودت جمعيات الصداقة الفرنسية-السورية في مجلس الشيوخ و في البرلمان أنشطتها بسرعة وهي التي كانت صامتة حتى بدء إعادة الحوار بين الجانبين. في كانون الأول 2008 قامت بعثة كبيرة مكونة من 40 رجل أعمال من بينهم ممثلين للمجموعات الاقتصادية الفرنسية الكبرى بزيارة دمشق للحصاد. الرئيس الفرنسي ذاته كان قد طور مصلحة خاصة منذ

فإن الرئيس ساركوزي يعتقد بطيبة خاطر أن سوريا تشكل قوة إقليمية و شريكة محتملة و هامة في دعم و تعميق النفوذ الفرنسي على حافة هذه المنطقة من العالم. لقد خسرت فرنسا شيئا فشيئا أهميتها و أصالتها في الشرق الأوسط، فهي غائبة في الملف العراقي و ضعيفة في لبنان و تقوم بدور المشاهد السلبي في مسألة الصراع الفلسطيني-الاسرائيلي وهي بنظر سورية تابع تافه للولايات المتحدة ليس إلا. غير أن فرنسا – وهي البلد الأوروبي الأول – الذي يقطع بصورة حاسمة سياسة العزلة الممارسة على سوريا، فإن باريس قد حصلت على ورقة رابحة: منفذ مميز لاكثر اللاعبين تجاهلا في المنطقة.

بالنهاية فإن فرنسا لا ترى ما تعتقده الولايات المتحدة أن سوريا بحد ذاتها " دولة مشاغبة" يجب تأهيلها أو هي عنصر في " محور" معادي يجب تحطيمه، و لكنها أي سوريا، دولة تحتل مكانة هامة في المنطقة و يمكن أن يكور دورها باتجاه ما هو إيجابي و ليس فقط ما هو سلبي.

بالنظر إلى ما تقدم فإن الولايات المتحدة سوف تكون مخطئة إذا لم تستلهم دروس التجربة الفرنسية، كما أن الهدف الذي وضعه فريق أوباما و القاضي بأن تقطع دمشق علاقاتها مع المجموعات الفلسطينية و اللبنانية الناشطة يبدو أنه بعيد المنال. إن استعادة الجولان بالنسبة للنظام السوري تعد مسألة متعلقة بشرعيته ذاتها وهو لذلك يخشى أن يتم تحجيمه إلى حدوده المتواضعة وهو بالتالي سيخسر أي دعم من قبل حلفائه الذين يجعلون من هذه الدولة الصغيرة النامية قوة ذات أهمية. كما يعبر عن ذلك قيادي سوري بقوله « يتحدثون إلينا ليطالبوننا بقطع علاقاتنا مع إيران و حزب الله و حماس، و لكن إذا قطعنا هذه العلاقات هل يمكننا الكلام حينها؟»[5]. من هنا يأتي المقترح السوري المضمر: عدم التخلي عن الحلفاء بل العمل على توازنها عبر علاقات أخرى ووضعها في خدمة الاستقرار الإقليمي[6]. و في هذا السياق يظل السؤال معلقا حول الحدود و المدى الذي يمكن تذهب إليه سوريا في هذا المجال بصورة دقيقة، و كذلك معرفة ما إذا كان النظام قادرا على إدارة وضعية حساسة جدا أثناء مرحلة التحول تلك، ذلك أن هذه المرحلة قد تزرع حالة من عدم الاستقرار لدى الحلفاء قبل ان نجني ثمار المرحلة الجديدة: تطبيع مع الولايات المتحدة، دعم اقتصادي من الغرب و عودة الجولان. و بالتالي فإن التقارب السوري الفرنسي يمكن أن يقدم أجوبة أولية عن ذلك.

هنا تحديدا و في هذا العمق ما يجب البحث فيه، إذ ان هذا التقارب لا يمكن له ان يصمد دون أن يلحق به الولايات المتحدة بسرعة، إذ بافتراضنا ان واشنطن و بعد حوار عقيم مع دمشق تعود من جديد إلى تبني سياسة عزلة سوريا و ممارسة الضغوطات على النظام فإنه يصبح من الصعوبة على أي حكومة فرنسية من حيث هي حكومة أطلسية بالنهاية لعب دور الفارس الوحيد. إن التجربة الفرنسية لن تكتمل عناصر صلاحيتها بصورة كاملة دون أن تبرهن بصورة لا لبس فيها كيف أن سوريا يمكن أن تكون عامل استقرار في المنطقة و ليس فقط الابتعاد عن حلفائها بشكل مبسط. و في سياق اللحظة يبدو أن هناك بون عميق بين ما حصلت عليه فرنسا من سوريا و ما يبدو أن فريق أوباما ينتظره من دمشق.

إن تبادل السفارات بين بيروت و دمشق يشكل تقدما هاما في مسار تطور العلاقات السورية-اللبنانية، غير أن هذا التطور سوف لن يكون له إلا تأثيرا سريع الزوال على الرغم من أهميته[7]. بالنسبة للولايات المتحدة الامتحان الحقيقي لسوريا في لبنان يتعلق بالموقف السوري من حزب الله (خاصة مسألة إعادة تسليح الحزب) و المجموعات الفلسطينية الناشطة التي تدعمها سوريا. لقد عبرت باريس عن ارتياحها عندما دعتها دمشق للمساهمة في جهود المفاوضات مع إسرائيل، في حين أن واشنطن في اليوم التالي تفضل أن تتصدى للموضوع منفردة او قد ترافقها تركيا عند الاقتضاء، كما أن الأليزيه التمس من الرئيس الأسد التأثير على الإيرانيين فيما يتعلق بالملف النووي وهو ملف تبحث الإدارة الأمريكية القادمة فتح قنواتها الخاصة مع طهران الامر الذي لا يترك إلا جوانب هامسية لمثل هكذا تدخل، و بالنهاية في حال إعادة إطلاق تعاون ثنائي في موضوع مكافحة الإرهاب فإن المطالب الأمريكية سوف تتركز على بلد حيث فرنسا تجهله بعناد، إنه العراق.

في هذا السياق إذا كانت كل من فرنسا و سوريا تريدان تعزيز نقاط التقائهما، التي تظل إلى حد الآن هشة، عبر استجرار الولايات المتحدة فإن هناك ثلاث مشروعات مفيدة. أولا في لبنان فإنه من المناسب أن يتم تخفيض أي خطر قد يعيد أجواء المواجهة عبر الاستجابة و بصورة ملموسة إلى المطالب الأكثر شرعية للأغلبية الحالية في الحكومة اللبنانية. إن مسألة ترسيم الحدود بين البلدين يتم اختصارها غالبا إلى مسألة مزارع شبعا الشائكة، وهي منطقة تحتلها إسرائيل و تبرر الخطاب المقاوم لحزب الله من اجل تحريرها، و لكن لماذا لا يبدأ ترسيم الحدود عمليا من المناطق المتفق عليها، أن يتم البدء من الشمال وهي خطوة تقبلها سوريا من حيث المبدأ؟[8].

و بعد ذلك مراجعة الاتفاقيات البينية الموقعة بين سوريا و لبنان في الفترة التي كانت دمشق تمارس فيها هيمنة غير محدودة على بيروت، إذ أن هذه الاتفاقيات أضحت حصان المعركة للأغلبية في بيروت في حين انها من المسكوت عنه كلية في دمشق بل هي تابو. بيد أن المحتوى التقني الحقيقي لهذه الاتفاقيات يظل في أغلب الأحيان غير معلوم لهذه الجهة كما للأخرى على الطرف الآخر من الحدود، إن هذه الاتفاقيات يمكن أن يتم فحصها و معالجتها عبر لجنة برلمانية لبنانية أو عبر لجنة يشكلها الرئيس سليمان و تكون مهمتها دراسة الملفات بهدوء مجامل دون التخلي عن صوت معبر. و بمرور الوقت سوف يشكل اعتماد تلك

أن قام بزيارة سياحية إلى سوريا. انظر نيكولا ساركوزي. الحر. باريس، روبير لافون 2001.

[5] لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول سوري كبير، دمشق تشرين الثاني 2008.

[6] مرجع إلى التقرير الآخر.

[7] بعض وجوه التحالف المضاد لسوريا في لبنان من 14 أذار قدم هذه الخطوة (التي شكلت لفترة طويلة إحدى مطالبهم الجوهرية) إما كخطوة رمزية خالصة أو كنوع من التهديد ضمن سياق أن التمثيل السوري في بيروت يمكن أن يكون رأس حربة للمخابرات السورية. لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع أحد وجوه 14 أذار بيروت تشرين الأول 2008.

[8] لقاء أجرته مجموعة الازمات مع دبلوماسي سوري. تشرين الأول 2008.

الاتفاقيات الضمانة المثلى لعلاقات متبادلة ذات جدوى بين البلدين وهي إلى جانب ذلك تشكل دليلا إضافيا و مستداما لقبول دمشق مبدأ السيادة اللبنانية الكاملة.

من جهة اخرى يبدو أنه من الضروري إطلاق وساطة دولية حول قضية المفقودين اللبنانيين في السجون السورية بهدف إعطاء هذه العملية حالة من المصداقية إذ ان هذا المسار لن تزيده المماطلة إلا تجييشا للمشاعر. إن آليات كهذه سوف تمنح مرونة كافية ليكون هذا المسار مقبولا من دمشق مع ضرورة إعطاء إشارات لإعادة تعريف و تحديد عميقة للعلاقات السورية اللبنانية[9].

أما الملف الثاني فهو العراق الذي أصبح يشكل ثقبا أسودا في السياسة الفرنسية في الشرق الأوسط. كل ما يحدث و كأن الأزمة الدائرة و التي تأتي بظلالها على كامل منطقة الشرق الأوسط هي مسألة تتعلق بمسؤولية السياسة الأمريكية هكذا تنظر باريس إلى المشكلة (وهذا صحيح من الناحية الأخلاقية و لكنه خاطئ على المستوى السياسي). إذ بإمكان فرنسا أن تلعب دورا هاما في العراق حيث بإمكانها أن تشكل دليلا و كشافا لإدارة أوباما لا سيما في الانفتاح على مكون أساسي و ذي تمثيل هام في اوساط العرب السنة.

إن هذا الحوار لم ير النور إلى هذه اللحظة، إذ أن مفهوم " الالتزام الاستراتيجي" الذي وضع موضع التنفيذ تحت إدارة بوش كان محدودا بصورة كبيرة و اقتصر على مجرد اتصالات ضمن منطق استخباراتي و بعض المحاولات التي كانت تهدف إلى مبدأ " فرق تسد" و في أحسن الأحوال التعاون مع بعض المجموعات داخل الأوساط العربية السنية. إن أعضاء " الصحوات " السبعين ألفا آخرون من " أبناء العراق[10] " يمثلون قبل كل شيء صنفين من السكان: العشائر ذات الشرعية التاريخية المشكوك فيها فيما يتعلق بتعبئة السكان و بعض المسلحين السابقين الذين ينظر إليهم على المستوى الاجتماعي على أنهم " دخلاء " (شباب مهمش، قرويين، عمال...) و ينظر إلى مشاركتهم في الصحوات بنفس معيار مشاركتهم السابقة في صفوف القاعدة – وهو شكل من أشكال الاضطراب في النسق الاجتماعي، فمثلا لازالت النخب المدنية سواء كانت ذات تمثيل ديني أو مهني في مدن كالفلوجة اوالموصل ترفض بل و تعادي بعمق ظاهرة الصحوات و ترفض إلى حد الآن دعم العملية السياسية القائمة أو الالتحاق بالقوات المسلحة وهو بذلك تشكل قاعدة هامة لأي إعادة لتمرد المعارضة المسلحة في مرحلة لاحقة للنزاع.

إن هذا الحوار أصبح ممكنا عبر:

- آفاق الانسحاب العسكري الأمريكي، التي أصبحت أكثر مصداقية (غياب هذه المصداقية تشكل عائقا حقيقيا لأي مفاوضات مع ما تبقى من المعارضة المسلحة).
- التغير الحاصل داخل الإدارة الأمريكية.
- الانتخابات المزمع عقدها في 2009 (و التي يمكن أن تساعد على إعادة التوازن للنظام السياسي الطائفي الذي أبعد إلى حدود بعيدة العرب السنة، و قد تساهم كذلك بتمثيل أفضل لهم على الصعيد المحلي و في المؤسسات الوطنية).
- الضعف الحاصل في صفوف المعارضة المسلحة و ميلها البراغماتي الواضح و التحول في الخطاب السلفي الذي شهد انتكاسة و العودة إلى مقولات ذات صفة " وطنية".

يتوجب إجراء اتصالات بصورة منهجية مع تلك الأوساط التي لاتزال خارج العملية السياسية و خارج دائرة الصحوات، وهم العسكريون السابقون و عناصر الاستخبارات و الأئمة ذوي النفوذ و الممثلين لتيارات الفكر العراقي، و المسؤولون االسابقون الذين يعيشون في المنفى حاليا، و زعماء العشائر " الحقيقيين " الذين تم استبعادهم زمن صدام، إلخ..كما ان الهدف من هذه التصال يجب أن يقود إلى تفحص الفرصة الأخيرة التي يوفرها الالتزام الأمريكي بالانسحاب لتأخذ هذه المكونات مكانها في النظام السياسي الذي قد يظلون خارجه إلى فترة طويلة في حال عدم استثمار الفرصة الحالية هذا من جهة و من جهة ثانية توفير وسائل دعم و تعزيز النجاحات التي تحققت لإدارة أوباما. إن دور فرنسا يتمثل في إطلاق مثل هكذا حوار عبر استمزاج اللاعبين و المحاورين الضروريين و عبر وضع قواعد لمفاوضات يجب أن تكون في كل الحالات تحت اليد الأمريكية ذاتها.

إن لفرنسا اليوم نقاطا إيجابية، فهي تمتلك منفذا قويا إلى شبكة علاقات طورتها سوريا هذا البلد الذي يحظى باحترام بالغ من الأطراف العربية السنية في العراق مقارنة مع بقية الجوار العربي للعراق. كما أن لفرنسا إيجابية أخرى فهي تتمتع بمصداقية خاصة لدى هذه الأوساط ذلك أنها اعترضت في الماضي على الحصار و كذلك على الغزو إضافة إلى بنائها قناة اتصال ممتازة مع الإدارة الأمريكية المقبلة، و أخيرا فإن لفرنسا تجربة ذات قيمة كبيرة و خبرة هامة حول العراق و لكنها لاتزال في دائرة الكمون و مع ذلك فإن هذه الخبرة سرعان ما تستيقظ و تصبح فعالة.

إن وساطة فرنسية في هذا المجال يمكنها أن تساهم في إطلاق تعاون بين دمشق و واشنطن لا يختصر على الفكرة الوهمية المتعلقة " بإغلاق " الحدود السورية العراقية، إذ في الواقع و على الرغم من بعض الخطوات التي اتخذتها سورية[11]، فإنها تظل غير قادرة على منع كل دعم للمعارضة المسلحة في العراق انطلاقا من أراضيها بسبب مشاعر السكان العرب السنة، ذلك أنه

[9] على الرغم من بعض الإشارات الرمزية حول هذا الملف فإن الشك لازال يراود عددا كبيرا من اللبنانيين، من هنا تأتي ضرورة إيجاد آليات ذات مصداقية أكبر. « تم إحداث لجنة سورية لبنانية عام 2005 بهدف بحث مسألة المفقودين غير أن سورية راوغت في ذلك، في عام 2006 تمت الإشارة إلى فكرة الصليب الأحمر و لكنها كانت بحاجة إلى ترحيب الفريقين و لكن سورية قالت لا، أما حول مسألة الحدود فبإمكاننا إنشاء لجنة غير أن سورية تريد ربح الوقت ليس إلا» لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول كبير في 14 أذار، بيروت تشرين الأول 2008.

[10] انظر تقرير مجمعة الأزمات 74 ، العراق بعد الحشد، المشهد السني الجديد، 30 نيسان 2008.

[11] هناك مراقبة نسبيا قوية وضعت موضع التنفيذ، الأمر الذي قلص الهامش الذي كان يتحرك فيه الافراد المتعاطفون مع المعارضة المسلحة انطلاقا من الأراضي السورية. انظر التقرير الذي ستصدره المجموعة حول السياسة الخارجية السورية.

من المعلوم أن هناك علاقات قوية بين مدن دير و الموصل و البوكمال و راوة، إضافة إلى أن هناك بعض المصالح الخاصة التي تحرك بعض المسؤولين السوريين كما ان سورية تريد بالنهاية المحافظة على علاقات طيبة مع بعض اللاعبين الذين يظلون يشكلون حاة هامة للمستقبل. كما أن المخاوف من الجماعات الجهادية التي يمكنها أن تهدد النظام تفع هي أيظا بان يحافظ النظام على منافذ على المعارضة المسلحة. إن للولايات المتحدة مصالح أكيدة يمكن أن تجنيها عبر تعاون يبنى على أساس التمييز بين المقاتلين المنتمين للقاعدة الذين لا ينفع التفاوض معهم و الآخرين الذين تركوا لاسباب تتعلق بالعملية السياسية.

الملف الثالث و الأخير يتعلق بان فرنسا يمكنها أن تأخذ مكانا في ساحة الصراع الفلسطيني الإسرائيلي عبر تزعم مبادرة أوروبية مكملة للجهود الامريكية و ليست بديلة عنها. إذ أن خلال ولايتي جورج بوش الابن لاحظنا أن المسؤولين الأوروبيين في كامل أوروبا يشتكون بمرارة من السياسات الأمريكية في المجالس الخاصة، هؤلاء القادة انفسهم ينتظرون من الإدارة الجديدة مواقف محددة حول (حصار غزة، المصالحة الفلسطينية، مسألة المستوطنات) تلك المواقف التي لم يجرؤ القادة الأوروربيون على اتخاذها بأنفسهم. إن على القادة الأوروبيين أن يتفهموا أن المصالح و هامش المناورة الامريكية، مهما كانت صورة الرئيس الامريكي، ليست هي ذاتها لديهم.

يعود لبعض الفاعلين الأوروبيين مثل فرنسا لتحمل هذه المسؤوليات خاصة فيما يتعلق بفحص فرصة و شروط الحوار مع حماس[12]و الموقف الذي يجب أن يتم تبنيه في حالة حكومة وحدة وطنية فلسطينية ترى النور في يوم من الأيام، عبر قيامها بهذا الدور فإن باريس بإمكانها أن تتفحص التأثير الإيجابي على حماس الذي يمكن أن تضطلع به دمشق، خاصة إذا تم التوصل إلى صيغة قابلة للحياة و عادلة بين الفصائل الفلسطينية و تلزمها بعض الضغوطات لانجاز الصفقة أو أيضا إذا كان قبول خماس لمبادرة السلام العربية يشكل آخر عقبة في طريق انجاز حكومة وحدة وطنية مقبولة من قبل الأوروبيين.

III. فرنسا ما بعد شيراك

بعد مغادرة الرئيس جاك شيراك في أيار 2007، الذي كانت علاقاته بنيكولا ساركوزي تتميز بالتنازع الملحوظ، بدأ الأليزيه مباشرة إبراز إرادة تقطع مع سياسة وصفت بأنها " شخصية جدا "[13] حول الملف اللبناني السوري. إذ أن شيراك، الذي كانت تربطه صداقة عميقة مع رفيق الحريري، قطع جميع الجسور مع دمشق و حلفائها بعد مقتل رئيس الوزراء الاسبق، و كان أكبر داعية للمحكمة الدولية، و بعد مغادرته وظائفه – كرئيس للجمهورية- انتقل للسكن في بيت منحته إياه عائلة الحريري[14].

أما بالنسبة للشاغل الجديد لقصر الأليزيه فإن الحفاظ على استقرار و سيادة لبنان يتطلب من فرنسا ان تقوم بدور الوسيط عبر دفع الحوار مع مجموع الأطراف الداخلة في النزاع في لبنان كما في المنطقة. و على الرغم من إرادته المعلنة للمحافظة على علاقات مميزة مع واشنطن و تل أبيب فإن ساركوزي رفض فكرة مقاطعة حزب الله بصورة خاصة[15]. و في 14 و 15 تموز تم لقاء في شاتو دي سان كلو جمع 28 شخصا من الفرقاء على الساحة اللبنانية[16]، إن هذه المقاربة المتضمنة تتبع من قراءة لا تتألم و لا تتأثر بالأسباب التي أدت إلى انسداد الحالة في لبنان[17].

لدعم جهودها في لبنان، ارتأت فرنسا أنه من الضروري تفسير تحركها في لبنان انطلاقا من مبدأ " أن الأطراف اللبنانية محدودة الاستقلالية "[18]. بناء على ذلك تم ارسال جان كلود كوسران،

---

[12] انظر بشكل خاصة مقترحات السفير السابق إيف أوبان دي لا مسوزيار، المكلف بالبدء بحوار سري مع حماس قبل أن تجهز عليه تسريبات صحفية، إيف أوبان دي لا مسوزيار، " لماذا يجب على أوروبا التحدث إلى حماس؟" لو موند 9 كانون الأول 2008.

[13] لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي، باريس و نيويورك أيار 2008.

[14] لو فيغارو 24 و 25 نيسان 2007. إن السكن يفترض من حيث المبدا أن يكون مؤقتا إلى حين أن الرئيس السابق و زوجته يجدان ترتيبات دائمة. عام و نصف بعد ذلك، لازال الزوجان في ذات العنوان. http://www.politique.net/2008102102-jacques-chirac-est-toujours-loge-gratuitement.htm

[15] إن الانفتاح للحوار مع حزب الله الأمر الذي يجعله محاورا شرعيا من بين محاورين آخرين، استدعت اعتراضا في اسرائيل و في أوساط الجالية اليهودية الفرنسية، و تم الاحساس بضغوط في الأليزيه. لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي كبير، باريس حزيران 2007.

[16] لمزيد من المعلومات الرسمية حول الموضوع:
Cf. http://www.diplomatie.gouv.fr/fr/pays-zones-geo_833/liban_418 /france-liban_1173/rencontre-inter-libanaise-14-16.07.07_51561.htm.

[17] في تحليلاته يذهب الأليزيه في بعض الأوقات إلى وضع الفرقاء اللبنانيين على قدم المساواة، ولذلك كانت ردود الفعل العاطفية لفريق ما يسمى 14 أذار تثير الانزعاج، في حزيران من نفس العام كانت هناك فكرة لإلغاء الاجتماع المقرر في سال سان كلو بحجة « إنه من المستحيل مساعدة هؤلاء الناس ضد إرادتهم ذاتها» لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي كبير، باريس حزيران 2007. هذا الانزعاج بدأ يتصاعد مع تعمق الحوار الفرنسي السوري، « بعض أعضاء 14 أذار أضاعوا نهائيا البوصلة، فمثلا ياتون إلينا إذا كان صحيحا أن الجيش الفرنسي ينسق مع الجيش السوري لغزو لبنان. قلنا لهم: اسمعوا نحن لدينا أجندة عمل كثيفة إذا كان هذا هو الموضوع الذي تريدون الحديث فيه فإنه من الأفضل ألا تضيعوا شيئا من وقتنا». لقاء أجرته مجموعة الأزمات الدولية مع مسؤول فرنسي كبير، تشرين الثاني 2007.

[18] لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي كبير، باريس تموز 2007.

المبعوث الخاص لوزير الخارجية برنار كوشنير، على وجه السرعة إلى طهران يومي 10 و 11 تموز للتحضير للاجتماع المزمع الذي أشلفنا ذكره، ثم في 17 من نفس الشهر حط كوسران في دمشق لتعزيز الخطوات التي يقوم بها الأليزيه. غير الهدف يبقى كل شيء " إعادة وضع لبنان على سكة الدستور "[19] عبر رفع الحواجز أمام تسمية بديلا توافقيا للرئيس اللبناني المغادر إميل لحود،إذ أن باريس تخشى، في حال عدم تقدم ذلك، من تشكيل حكومتين متنافستين ينتج عنها " أخطار عنف حقيقية "[20].

إن السياسة الفرنسية تم توضيحها من قبل الرئيس ساركوزي في كلمة موجزة بمناسبة الندوة السنوية للسفراء الفرنسيين:

> إن لبنان منذ قرون عزيز على قلوب الفرنسيين، إن هذه الصداقة لا تعني مجموعة أو طرفا: فرنسا هي صديقة كل لبنان من دون استثناء، لبنان بسيادته الكاملة، كما أوجبها القرار 1559 و القرار 1701 الصادرين عن مجلس الامن. إن هذه الصداقة هي التي شجعت برنار كوشنيرعلى دعوة كافة الناشطين في الحياة السياسية في لبنان إلى سال سان كلو و من ثمة في بيروت، إن الحوار الذي ابتدأ يجب أن يستمر للوصول إلى مخرج من الأزمة: رئيس منتخب في المهلة و الطريقة التي يحددها الدستور، وهو الرئيس ال1ي يعترف به كل اللبنانيون وهو بذات الوقت يستطيع العمل مع الجميع سواء في الداخل مع كافة الأطراف كما في الخارج مع شركاء لبنان الكبار، كل القوى الإقليمية بما فيها سوريا يجب عليهم العمل من أجل تهيئة الاجواء المناسبة لهذه الحالة. إذا التزمت دمشق بهذا النهج فإن شروط الحوار الفرنسي السوري سوف تجتمع. و في الحالة المعاكسة فإن شروط ه1ا الحوار لم تجتمع بعد.[21]

في انفتاحه السياسي على سوريا، تبنت فرنسا مقاربة حذرة، متصاعدة و مشروطة. يبدو أن باريس غدت مقتنعة بأن دمشق سوف تقوم بأي شيء من شأنه أن يمنع المحكمة الدولية المكلفة بمقاضاة قتلة الحريري حتى و إن كان الثمن بث عدم الاستقرار الشامل في لبنان.[22] غير أن البديل، وهو التضحية بالمحكمة، عملية صعبة و دقيقة، و يطرح هنا السؤال حول أثر ذلك خاصة و أن السياسة المتبعة لحد الآن وهي عزل دمشق و الضغط عليها بسبب لبنان سوف توضع في دائرة الاتهام. إذ كيف يمكن التصدي عمليا لمسألة المحكمة؟ مع من يجب أن نتحدث في صفوف النظام؟ و كيف يمكن التحكم في الصدى الذي قد ينجم عن مثل هكذا تغير سواء في فرنسا ذاتها أو في لبنان حيث تحرك هذه المسألة الكثير من العواطف[23]، كما في واشنطن و إسرائيل؟[24] إن نتيجة هذه الأفكار يمكن جمعها في النقاط الثلاثة التالية.

يرتكز الاهتمام الأول لفرنسا في طمأنة دمشق حول موضوع المحكمة[25]، عبر إيقاف أي محاولة تهدف إلى زعزعة النظام، على أن تبقى، أي فرنسا، ملتزمة بتحقيق العدالة. و فيما وراء اعلان هذه المبادئ، بدات بعض الاتصالات على مستوى غير عالي تؤكد هذه الأفكار و تدعمها بصورة ضمنية، و في هذا السياق تم تنظيم اجتماع لرياض الداوودي- محامي سوري مكلف بملف المحكمة الدولية- مع مسؤول في الخارجية الفرنسية بمناسبة سفر الأول إلى اسبانيا و مروره بباريس في منتصف العام 2008.[26] إن الموقف الفرنسي ربما يعكس إلى حدود ما عدم ارتياحها: إذ أن الموقف قد يبدو ظاهريا يميل نحو التساهل من جهة و في ذات الوقت هناك رفض للتحدث في " صفقة " حول المحكمة من جهة أخرىو أخيرا الانفتاح على فكرة مفاده أن بعض الدول العربية يمكنها أن تتغير ضمن سياق مساومة ما.[27] إن المشهد بصور عامة يسعى إلى توفير نوعا من الآفاق (الغامضة بكل تأكيد) لحل ودي دون التراجع المحكمة التي تظل أداة الضغط ضد دمشق، و منذ ذلك الحين كان يجب إيجاد توازن دقيق كما يقترحه هذا المسؤول:

> إن الرسالة التي نقلت إلة دمشق كانت من هذه الطبيعة: « إذا تعاونتم فإن كل شيء ممكن، و غلاّ فإننا سنشكل كتلة مع

---

[19] لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي كبير، باريس تموز 2007.
[20] لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي كبير، باريس تموز 2007.
[21] http://elysee.fr/elysee/elysee.fr/francais/interventions/2007/aout/allocation_a_1_occasion_de_la_conference_des_ambassadeurs.79272.htm.
[22] لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤولين فرنسيين، باريس و نيويورك أيار 2007. يعتقد هؤلاء المسؤولين أن سوريا تقف وراء أغلب عمليات العنف التي تجتاح لبنان بما فيها بروز المجموعة الجهادية فتح الإسلام، وهناك واحد من هؤلاء الدبلوماسيين، مع التسليم الكامل بأن تيار الحريري قد لعب دورا، أشار إلى أن الجبهة الشعبية-القيادة العامة التي تتخذ من دمشق مقرا لها قد قدمت دعما لوجستيا و سلاحا متطورا لفتح الاسلام إضافة إلى تمكينها من عبور مقاتلين إلى لبنان كانوا في طريقهم إلى العراق. لقاء اجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي كبير، باريس تموز 2007.
[23] كانت وزارة الخارجية الفرنسية منزعجة بشكل خاص من « التقلب الحاد للصحافة الفرنسية، التي طالما انتقدت شيراك بحكم علاقاته الواسعة مع آل الحريري قبل أن تنتقل إلى ساركوزي لأنه لا يتحدث فقط مع الحريري» لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي، باريس حزيران 2007.
[24] لقاء أجرته مجموعة الأزمات، باريس أيار-حزيران 2007.
[25] خلال المحادثات الأولى التي أجرتها التي أجرتها مجموعة الأزمات مع المسؤولين الفرنسيين احتلت مسألة المحكمة الدولية الحيز الأكبر من تلك الحوارات. لقاءات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين فرنسيين، باريس دمشق و نيويورك، أيار حزيران و تموز 2007. « إن المبادرة الفرنسية تجاه سوريا تستند على فرضيتين: أن تعطي سورية أهمية إلى للتطبيع مع فرنسا، و أن تبحث سورية عن نزع فتيل النزاع الذي حول مسألة المحكمة الدولية.» لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي و آخر سوري، دمشق آب 2007.
[26] لقاء أجلرته مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي و آخر سوري، دمشق آب 2007.
[27] « يجب التحدث حول المحكمة مع السوريين و لكن فرنسا يجب عليها أن لا تقوم بذلك، يجب عليها أن تحافظ على موقفها المبدئي حول موضوع المحكمة لأن ذلك يشكل لها أحد الأوراق القليلة التي تملكها، انه على العرب أن يفعلوا ذلك مع سورية» لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي كبير، باريس تموز 2007. مسؤول آخر قال فيما بعد: « خلال اللقاءات الأربع التي جمعتنا مع الرئيس الأسد، المحكمة لم تكن موضوع إشارة باستثناء مرة واحدة و بطريقة هامشية و كانت بمبادرة من الرئيس نفسه» لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي كبير، باريس تشرين الثاني 2008.

آخرين لتصعيد الضغوط » سوف يكون مفيدا إذا صعدت الولايات المتحدة من لهجتها، لدي إحساس بأن السوريين لا يخافون الامريكيين، لانهم يعلمون جيدا أن واشنطن تهتم بالعراق أكثر من لبنان، إذا لم يشعر السوريين بنوع من الخوف فإنهم سيقومون فقط بما في رؤوسهم.[28]

ثانيا كانت اللقاءات بين الجانبين على مستوى عال تعد ك" مكافئة " لسوريا في حال كان تصرفها مرضي. إن كل اغتيال سياسي على الأراضي اللبنانية كان يوقف بصورة كاملة المسار الدبلوماسي، في حين أن المراحل المتصفة بالهدوء كانت تسند إلى استئناف إلى استئناف الحوار، كذلك كانت زيارة كوسران، المتوقعة أثناء تمديد إقامته ف لبنان في حزيران 2007، كانت قد ألغيت بسبب اغتيال وليد عيدو، ثم تم برمجة تلك الزيارة مرة أخرى بعد أن تم تقييم موقف دمشق من اجتماعت سال سان كلو تقييما إيجابيا[29].في نفس السياق أيضا كان قد تم تأجيل اللقاء بين وليد المعلم و كوشنير على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة بسبب العملية التي أودت بحياة البرلماني أنطوان غانم[30].

ثالثا إن آفاق تطبيع صادق و سريع للعلاقات البينية، فيما وراء اللقاءات الدبلوماسية المنتظمة، تم عرضها على أسس بسيطة و واضحة: انتخاب رئيس توافقي في لبنان. و بانتظار ذلك بدأت فرنسا بتقليص النقاشات المتعلقة بالأزمة الرئاسية[31]، إن هذه المقاربة ساهمت في دعم المثابرة التي أثبتتها فرنسا خلال اتصالها بسوريا على الرغم من خيبة الامل المتعاضمة الناجمة عن احساس بأن الموقف السوري يتميز بالسلبية تجاه فرنسا[32] و خاطئ في لبنان[33].

الأمر المثير في هذا المسار أن هذه المثابرة يتصدى لها الأليزيه حيث كان يتم التصدي للشكوك و الاحباط بقدر كبير من البراغماتية على عكس رد فعل الخارجية على ذلك[34].

IV. الأليزيه يتسلم القيادة

إن إطار العمل القائم، و بعد أشهر من الركود، طرأت عليه تغيرات هامة عندما انتقلت إدارة الملف من وزارة الخارجية إلى الرئاسة الفرنسية. إن عملية الانتقال هذه كانت في تشرين الثاني 2007 و قد استندت إلى مقاربة الاستحقاق الرئاسي الذي تم تحديده يوم 23 من نفس الشهر. في 2 تشرين الثاني جمع لقاء كل من كوشنير و وليد المعلم على هامش قمة انعقدت في اسطنبول حول مسألة الامن في العراق[35]، ثم تبعت ذلك زيارة كلود غيان الأمين العام للرئاسة الفرنسية إلى دمشق يرافقه جان دافيد لوفيت المستشار الدبلوماسي لساركوزي. كما أن الرئيس الفرنسي اتصل هاتفيا بنظيره السوري لمرتين، كان الهدف قبل كل شيء بناء اتصال مباشر مع الأسد حتى تصبح المعطيات واضحة من الجانب السوري هذه المعطيات التي ظل الغموض يكتنفها[36]. بالمقابل أيضا فإن بناء اتصال مباشر مع الاليزيه سيمكنها من التعرف عن قرب عن آليات الدور الفرنسي الذي غدا يكتنفه

---

[28] لقاء أجرته مجموعة الازمات مع مسؤول فرنسي كبير، باريس تموز 2007.

[29] Ibid

[30] من وجهة نظر الأليزيه لم يعطي مقتل انطوان غانم إلا مجرد « بيان سوري هش و متأخر بذات الوقت » يثير تساؤلات جدية. لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي كبير، باريس أيلول 2007، الأمر الذي أثار غضب ساركوزي « لم اتهم أحدا و لكن بالنهاية إن مشاهدة مقتل البرلمانيين بصورة منتظمة لم تعد مقبولة، إن الاغتيال ليس طريقة و لا يمكن أن نجعل من الأكثرية أقلية عبر اغتيال اعضائها، إنه أمر غير مقبول. يجب أن نعلم شيئا: فرنسا تقوم بكل شيئ حتى يأتي يوم و يحاسب فيه القتلة على جرائمهم (...) و الاحظ دائما أن الناس يسقطون من قبل الجهة ذاتها. إن الشكوك سوف تنتهي بيقين إذا استمر الأمر على هذا النحو». محطة اعلامية. نيويورك 25 أيلول 2007. و في تصريح إلى الصحافة ربط كوشنير بصورة واضحة بين إلغاء لقائه مع وليد المعلم و مقتل انطوان غانم. الأسيوتش برس، 27 أيلول 2007.

[31] بصورة خاصة كانت مهمة كوسران خلال زيارته لدمشق في تموز 2007، مقتصرة على خليفة لحود. لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي كبير، باريس و دمشق تموز 2007.

[32] في البداية لم ترد دمشق على الانفتاح الفرنسي، إذ أن موقع السفير السوري في باريس ظل شاغرا منذ بداية 2006، و كذلك سفارة فرنسا في دمشق ظل التعامل معها روتينيا في فترة شيراك. يقدر دبلوماسي فرنسي أن فرنسا أرسلت بعض الإشارة القوية عبر ارسالها كوسرون وهو العارف بالشؤون السورية و قائد سابق للاستخبارات الفرنسية على الرغم من ميولات الرجل الاشتراكية. « قامت فرنسا بكل ما يمكنها أن تقوم به من أجل فتح الباب للحوار، إن إرسال كوسران بجد ذاتها تشكل افتاحا غاية في الاهمية» لقاء مجموعة الازمات مسؤول فرنسي، دمشق أيلول 2007.

[33] في حزيران 2007 مثلا، اغتاظ المسؤولون الفرنسيون ذلك أن « سوريا ترسل كل الإشارات السلبية» سواء كان ذلك بالاغتيالات أو « التهديدات المافيوية» ضد لبنان أو أيضا بسد الطريق أمام الحل المقترح من قبل الجامعة العربية لحل أزمة الرئاسة. لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤولين فرنسيين، باريس و دمشق حزيران و تموز 2007. أحد المسؤولين قدر حينها أنه « أصبح من المتأخر جدا تقريبا، إذا كانت سوريا تختار المواجهة في لبنان لن يبق شيء للنقاش، إن الخيار الوحيد المتبقي أمام فرنسا هو التشدد في مواجهة اجراءات عدائية و هذا التشدد يجب أن يشمل بصورة خاصة مسألة المحكمة الدولية. ماذا يعتقدون؟ أن نترك لهم الساحة و أن يعود الكل إلى مكانه؟ نحن لسنا ضعفاء، يجب أن ترسل إشارات إيجابية حتى نستطيع اطلاق الحوار»

[34] في نهاية حزيرا مثلا، كانت الخارجية بصدد التخلي عن أي أمل من الجانب السوري، في حين أن الأمر في الأليزيه كان مختلفا بعض الشيء إذ ينظر إلى الأمر من زاوية الشباك « التي لاتزال منفتحة و لكنها تنحدر نحو الانغلاق ببطء» لقاء أجرته مجموعة الازمات مع مسؤول فرنسي، باريس حزيران 2007.

[35] بدأ كوشنير بالاتصال هاتفيا بوليد المعلم وهي حركة غير مكلفة سياسيا، و عبر الهاتف وعد بارسال كوسران الى دمشق و بأن يلتقي هو نفسه الوزير المعلم في اسطنبول. لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي، تشرين الثاني 2007.

[36] « إن الفائدة من زيارة غيان و لوفيت هي اللقاء بالأسد، الذي يمثل خط الوسط بين براغماتية الوزير المعلم و ألئك الذين يفضلون تخريب كل شيء» لقاء اجرته مجموعة الازمات مع مسؤول فرنسي، تشرين الثاني 2007. حتى ذلك الحين كانت فرنسا قد جربت عدة قنوات اتصال مع سوريا كان لها أثرا مشتت و صعب القياس.

الغموض بسبب بعض التصريحات المتشددة التي تتعارض مع رغبة معلنة للحوار[37].

في ذات الوقت قام الرئيس ساركوزي بزيارة الى واشنطن، حيث حصل من بوش كما يبدوعلى الدعم الواضح حتى يضع خطته الخاصة في لبنان موضع التنفيذ، كما أنه يبدو أن إطار التحضيرات لمؤتمر أنابوليس قد سهل المهمة ذلك ان العديد من الدول الأوروبية و العربية شجعت واشنطن لدعوة دمشق للمشاركة في المؤتمر المذكور[38].

إن الفكرة الأساسية لهذا التحرك تهدف إلى تحييد مزدوج، فمن ناحية إيقاف رغبة الأمريكيين الذين يدفعون قوى 14 اذار (التحالف المعادي لدمشق و الذي يشكل أغلبة في الحكومة الحالية) لانتخاب رئيس بصورة أحادية، الأمر الذي يشكل خطرا على لبنان. و من ناحية ثانية فهو يقلص قدرة السوريين على إلحاق الضرر بالعملية. نحن نعتقد أن سوريا تريد ان تستخدم فرنسا كسلم باتجاه الولايات المتحدة، و لقد أعتمدنا استراتيجية متدرجة، الخطوة الأولى هو أن نقف الى جانب المشاركة السورية في أنبوليس حيث ستكون قضية الجولان على الطاولة، و إذا تقدمت هذه الخطوة فسنطرح خطوات أخرى[39].

و بصورة متزامنة كثفت فرنسا جهودا لضمان تسمية رئيس توافقي في لبنان. و في 16 تشرين الثاني حصلت من البطرك اللبناني، ضد إرادته، على قائمة رئاسية[40] (تضم أسماء شخصيات تم ترشيحها من قبل البطرك صفير ليتم الاختيارمن بينها). و بعد ذلك تبدأ باريس جولة من الوساطات على قاعدة ملموسة بين الأطراف اللبنانية[41]. و هنا أيضا نسجل أن هناك منعطفا في العلاقات السورية الفرنسية إذ أن تعميق تلك الوساطة خلق بدوره آلية لا يمكن لسوريا أن تتجاهلها ببساطة.

باعتقادي دمشق لا تعتقد في المبادرة الفرنسية، إذ أن السوريين لم ياتقطوا أهدافنا و اكتفوا بالرضا على طريقة عملنا، بانتظار حوار ما يقلص عزلتهم. لقد ظلوا في النفطة الأولى و لم يتخيلوا أن فرنسا بإمكانها انتزاع قائمة من الأسماء المرشحة من البطرك. إن تجسيد المبادرة الفرنسية فاجأهم و أخذهم شيئا فشيئا إلى المشاركة من حيث لا يدرون[42].

من جهته فقد تحمس الأليزيه لهذه الفكرة و عبر عن ذلك وفق ثلاث طرق، ففرنسا تتحاور مع دمشق من الآن فصاعدا، وهو الشيء الذي كانت ترفضه حتى ذلك الحين[43]، حول المرشحين للرئاسة اللبنانية وهي بذلك تعترف بحق سوريا في الرقابة و حق الفيتو[44]. و أكثر فإن فرنسا تطلب من سوريا أن تمارس ضغوطا على حلفائها (خاصة على حزب الله)[45]، بمعنى آخر التدخل في لبنان في حين أن فرنسا تطالبها مسبقا بعدم التخل في شؤون جارها لأن ذلك يشكل عائقا أمام الحل[46]. و أخيرا و على الرغم من أن المقاربة الفرنسية تم بنائها على الصعيد النظري بأن تكون تصاعدية فإن الأليزيه ارتمى بكل ثقله في غمرة الحوار مع سوريا: غيان بصورة خاصة يهاتف وليد المعلم يوميا[47].

---

[37] قدر مسؤول سوري في ذلك الوقت اهمية تلك اللقاءات التي يمكنها ان تبني علاقات أكثر شخصية « اللقاء الذي أجراه غيان مع الرئيس الأسد ترك انطباعات ممتازة وايضا المكالمة الهاتفية مع ساركوزي، نحن نشعر بنوع من السعادة لأن الملف أصبح الآن بأيدي الرئيس ساركوزي» لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول سوري كبير، دمشق تشرين الثاني 2007.

[38] انظر موجز مجموعة الأزمات رقم 22 : الصراع الفلسطيني-الاسرائيلي، ما بعد انابوليس. 20 تشرين الثاني 2007.

[39] لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي، بيروت تشرين الثاني 2007.

[40] كان البطرن متحفظا ان توضع مصداقيته في لعبة عبر اقتراح قائمة من الأشخاص تتجاهلها أطراف الأزمة. لوموند 7 تشرين الثاني 2007. « لقد مارسنا عليه ضغوطا كبيرة، حيث قلنا له سستحمل مسؤولية أخلاقية إذا دخل لبنان في الفوضى و لم تساهم في إيجاد حل.وهو بدوره لن يسامحنا إذا فشلت تلك الجهود» لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي، تشرين الثاني 2007.

[41] بين 12 تشرين الثاني و 5 كانون الأول زار كوشنير لبنا ثلاث مرات.

[42] لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي، دمشق تشرين الثاني 2007.

[43] في بداية تشرين الثاني رفض كوشنير بقوة فكرة أي تدخل في مسار اختيار الرئيس اللبناني الذي يجب أن يبقى (المسار) لبنانيا خالصا. «نحن نأمل أن يتقدم المسار الانتخابي الديمقراطي في لبنان وفق القواعد الدستورية (...) كل تدخل يجب منعه (...) انهم اللبنانيون أنفسهم، كل الأطراف اللبنانية (...) هم من يجب أن يعين (مرشحا). من الممكن أن تجري بعض الحوارات بين الأغلبية و المعارضة، أي بين السيد الحريري و السيد نبيه بري و يتم الأختيار بين واحد أو اثنان، لست أدري من هو و لا أريد أن أعرف الأسماء و لن اناقش ذلك، من المرشحين و تقديمهم للبرلمان (...) إذا تم احترام أسس العملية الديمقراطية حينها فإن العلاقات بين فرنسا و سوريا سوف تتأثر إيجابيا و حينها نعيد العلاقات العادية، هذه هي الرسالة التي تم توجيهها أمس الى دمشق للمرة الخامسة» تصريح صحفي، باريس 5 تشرين الثاني 2007.

[44] أثرت هذه السابقة بصورة سلبية على 14 أذار. أذار. « لقد ارتكب الفرنسيون خطأ فادحا بترديدهم يوميا أن سوريا بإمكانها تسهيل انتخاب رئيس في لبنان، يجب أن نطلب ببساطة من سوريا أن لا تقوم بأعمل ضارة.» لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول كبير من جماعة 14 أذار، بيروت تشرين الأول 2007.

[45] « ماذا ينتظر من سوريا؟ أن تمارس ضغوطا في لحظة ما على حزب الله. أتفهم أن دمشق تملك فرصا قليلة مع عون، و اتفهم أيضا أن تعقيدات علاقة سوريا بحزب الله. و لكن إذا كانت سوريا لا تسطيع أن تفعل شيئا فما الفائدة؟» لقاء مجموعة الازمات مع مسؤول فرنسي، دمشق تشرين الثاني 2007.

[46] إن سخرية هذه المسألة عادة ما يتم رسمها في دمشق، لقاء مجموعة الأزمات مع مسؤول سوري، دمشق تشرين الثاني كانون الاول 2007. كما أظهر مسؤول سوري رضاه برؤية فرنسا تتخبط لصياغة اتفاق بين اللبنانيين تحضيرا للانتخابات، « لقد قمنا بهذا طيلة أعوام، من أجل أصغر انتخابات و في أصغر قرية يجب أن يبدأ طبخ المسألة قبل سنة كاملة. بكل صدق لن نكون إلا سعداء بترك هذه المسألة للفرنسيين!». لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول سوري كبير، دمشق تشرين الثاني 2007.

[47] لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي كبير، باريس و دمشق تشرين الثاني و كانون الاول 2007.

بدأت ردود الفعل السورية تظهر نوعا من الرضا، إذ أن الفروق بين المقاربة الفرنسية و الأمريكية تم الترحيب بها[48]، و حينها أرسلت سوريا إشارات إيجابية و بصورة خاصة لقد سهلت المغادرة الهادئة للرئيس إميل لحود المنتهية ولايته. و في نفس الوقت ظلت دمشق متحفظة، إذ أن البعض أبدى انزعاجه من الأفراط الفرنسي في التعجل[49] خاصة و أن المسؤولين السوريين يؤكدون على حدود تأثيرهم في لبنان، و وفق مسؤول سوري فإن « سوريا ليس لها تأثير كبير على عون، و مع حزب الله إننا يمكن أن نقوم ببعض الضغط حتى يقولون لنا إن هذا خطر يهدد مصالحنا الأساسية[50] ».

لقد تبنت سوريا موقفا غامضا وهي في ذلك ظلت مترددة بين رغبتها في حصاد علاقات جيدة مع فرنسا و بين حل لا يؤمن مصالحها في لبنان، فمن ناحية يخاطب المسؤولين السوريين نظرائهم الفرنسيين بصورة شخصية بخطاب مسكن و يؤكون لهم ضرورة حل كافة رهانات الاستحقاق الرئاسي[51]، و من جهة أخرى فإن البعض من المسؤولين يضاعف الريبة[52]، في حين أن الوضع في لبنان أصبح أكثر فأكثر غير مستقر.

V. القطيعة و التوافق

إن الطلاق بين ساركوزي و الاسد هو أيضا ممكن كما هي الحال لتقاربهم، إذ أن إغتيال جديد في لنان[53]، إضافة الى ضغوط متزايدة من الولايات المتحدة[54] إضافة إلى تزايد التردد الناجم عن نتائج غير مرضية للوساطة الفرنسية الامر الذي يهدد بعمق المصداقية الفرنسية[55] وبالتالي دفعت هذه الأوضاع الأليزيه إلى وضع انذار يتمثل إما في انتخاب رئيس لبناني قبل 22 كانون الاول أو فإن العلاقات بين البلدين ستشهد تراجعا كبيرا. و تم فحص جملة من العقوبات المحتملة من قبل الأليزيه على رأسها تسريع المحكمة الدولية و وضعها موضع التنفيذ إضافة الى حزمة من الاجراءات العقابية التجارية بغطاء أممي مرورا بتلك التسريبات حول مسألة القصف الاسرائيلي للمواقع المشتبهة قرب دير الزور[56]. تم تجاوز الموعد المحدد، فأعلن ساركوزي القطيعة في مشهد مثير وهو يقف إلى جانب الرئيس المصري مبارك، أحدأكبر المناوئين للرئيس الأسد على الساحة العربية، و كانت وسيلته في ذلك التلويح بالمحكمة.

> إن فرنسا تحملت مسؤولية حوار مشروط مع سورية، و نحن الآن ننتظر أفعالا من سوريا و ليس أقوالا، يجب أن يكون للبنان رئيس توافقي (...) هل كان اتصالي بالرئيس الاسد أمرا مفيدا؟ أنا لم أندم على ذلك. لقد اظطلعت بذلك لأني أردت أكون صادقا عبر قولي الى سوريا: الآن هناك فرصة اليوم لتظهروا أنكم تريدون السير في طريق جديرة بالاحترام قوية و معترف بها، وهي فرصة لا تحتمل الانتظار. إن سوريا يجب أن تكف عن الكلام و يجب أن تعمل. هذ أول شيء وسوف لن أبدأ اي اتصال مع سورية و كذلك الذين يعملون معي طالما لم يتم تعيين رئيس توافقي في لبنان. و ثانيا فإن فرنسا سوف تزيل العقبات أمام الأموال اللازمة لتسريع عمل المحكمة الدولية[57].

و في نفس الوقت بدأ الاليزيه التحضير لامكانية اطلاق الحوار من جديد. و على عكس مقترحات ساركوزي فإن الجسور لم تغلق كليا: فغيان يتصل بوليد المعلم، و رسالة أرسلت من الأليزيه

---

[48] « نحن نلاحظ أن ساركوزي متعاطف مع اسرائيل و مع الولايات المتحدة، و لكن ما يهمنا الا يعود إلى سياسة شيراك تجاه سوريا و لبنان، و من المعروف أن فرنسا تعرف جيدا لبنان و تهشى عليه من الانهيار أما الاريكيين فإنهم لا يعرفونه» لقاء أجرته مجموعة الازمات مع مسؤول سوري، دمشق تشرين الثاني 2007.

[49] « لقد ارتاب السوريون عندما بدأ ساركوزي يهتم كثيرا بالموضوع: وفق مصادري لقد اندهشوا عندما أعلن ساركوزي، بصورة عمومية، أنه سيذهب لقضاء عطلة عيد الميلاد في دمشق إذا حلت الأزمة» لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي، أذار 2008.

[50] لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول سوري كبير، دمشق تشرين الثاني 2007. « لقد قلنا للفرنسيين أنه لا توجد لدينا اتصالات مع عون، إنه ليس حليفا، و لكن لديه شخصية قوية و علاقات واسعة مع حزب الله و شعبية هامة لدى المسيحيين في لبنان، و حزب الله لا يمكنه أن يخذل عون كما خذلته بعض الوجوه المسيحية، و من جهة أخرى إذا أريد لنا أن نتدخل فلماذا غذا نسسق هذه الجهود مع الفرنسيين؟» لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول سوري، دمشق تشرين الثاني 2007.

[51] لقاءات أجرتها مجموعة الازمات مع مسؤولين فرنسيين و سوريين، باريس دمشق تشرين الثاني 2007.

[52] المثال المدهش تم تقديمه من قبل نائب الرئيس فاروق الشرع خلال المؤتمر الدوري السابع للجبهة الوطنية التقدمية مؤكدا أن سوريا الآن أقوى من أي وقت مضى وهي تترك الحل في لبنان إلى اللبنانيين أنفسهم. صحيفة البعث 12 كانون الثاني 2007.

[53] هذه المرة تم اغتيال فراسوا الحاج قائد هيئة الاركان في الجيش اللبناني يوم 12 كانون الأول 2007.

[54] في كانون الأول 2007 اعلن بوش أنه « منذ زمن نفذ صبره من الرئيس الأسد » و أرسل الى بيروت نائب وزيرة الخارجية دافيد ولش و معون رئيس مجلس الأمن القومي إليوت أبرامز (وهو خصم لدود لسورية) الوكالة الفرنسية، 19 و 20 كانون الاول 2007. كما أن وزيرة الخارجية كونداليزا رايس و مستشار الأمن القومي ستيفن هادلي مارسا ضغوطا مباشرة على الأليزيه، لوموند 12 كانون الثاني 2008.

[55] لقد اعترف بذلك كوشنير و قد عكس الانتقادات المتزايدة في الصحافة اللبنانية و الفرنسية : « انظروا إنه للمرة السابعة ياتي وزير الخارجية، إنه بالتأكيد أمر يبعث على النقد و السخرية» مؤتمر صحفي بيروت 7 كانون الاول 2007.

[56] لقاء اجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي كبير، باريس كانون الاول 2007.

[57] مؤتمر صحفي لساركوزي في القاهرة، القاهرة 30 كانون الاول 2007.

إلى دمشق[58]. و في مجال آخر غير جوهري في نهاية كانون الثاني 2008 استقبل العهد الفرنسي للعلاقات الدولية سمير التقي وهو مثقف يتمتع بعلاقات واسعة داخل النظام في سوريا. فقط بعض اجراءات التهديد وضعت موضع التنفيذ[59]، و خلال الاسبوعين التاليين انسحبت باريس من الساحة اللبنانية فاسحة المجال امام الجامعة العربية، و ظلت أي باريس تعيد حساباتها و خيارتها اكثر من الانغماس و العودة الى سياسة شيراك[60]. و ظلت فكرة دعوة الأسد لحضور قمة الاتحاد من أجل المتوسط، التي ستعقد في باريس في تموز، ظلت هذه الدعوة معلقة في الهواء[61]. و في 22 نيسان التقى كوشنير بنظيره السوري على هامش اجتماع الكويت لعم الاستقرار في العراق، و كان اللقاء مباشرا "صريحا" و "من دون غموض"[62]. إن هذه المرونة مكنت الأليزيه من التحرك بسرعة إبان جولة القوة التي استعرضها حزب الله[63] و التي أدت الى توقيع اتفاق الدوحة وهو اتفاق يتضمن انتخاب رئيس للبنان.

بانتظار ذلك في دمشق، فإن القطيعة التي فرضتها فرنسا أعادت النظام الى العزلة من جديد بعد النجاح النسبي الذي حققه في الفترة الاخيرة[64]، و حتى ينقذ الموقف فإن النظام واصل المكابرة و تصوير الحالة و كأن شيئا لم يحدث، فقد أعطى مثالا على ذلك اهمية كبرى لزيارة وفد برلماني لا قيمة له إضافة الى أن برمجة زيارته تمت منذ وقت طويلو من دون أي تشاور مع الأليزيه[65].

أثناء اللقاءات الخاصة يبدي المسؤولون السوريون صدمتهم من الموقف الفرنسي و يلومون ساركوزي الذي تحطم تصريحاته مواقفه اولا « إن أوامر ساركوزي و إنذاراته تذكرني بالاجتماع مع كولن باول في 2003، [66] عندما قال له الرئيس: نحن لا نقبل ان تكلمنا بهذه الطريقة. يجب أن يتم فهم مزاج رئيسنا[67]». و في العمق يحملون باريس جزءا من المسؤولية التي اخفقت ثلاث مرات: فرنسا لم تستطع فهم المطالب المرنة للمعارضة اللبنانيةن إعادة الأغلبية للتعقل و ابعاد الامريككين الى مسافة ما[68].

فيما بعد أمل مسؤول فرنسي، تم اشراكه بصورة مباشرة في الملف، ان يشكل فشل 2007 قاعدة صحيحة لتقارب فعال.

في نهاية 2007 رفض السوريون الخطة الفرنس ية القاضية بانتخاب ميشال سليمان رئيسا للبنان، فغضب ساركوزي، ادرك السوريون حينها أننا لسنا تابعين لهم و انهم مرة اخرى وحيدين رأس لرأس مع إيران. منذ تلك اللحظة بدانا ننشهد عناصر مريحة و أخرى غير مريحة، فإذا انتقلنا إلى الثانية نجد مسألة اغتيال مغنية[69]، آثار الغارة الاسرائيلية على دير الزورالتي قد تثير تصعيدا جديدا مع الولايات المتحدة و في بعض التقديرات كذلك نشير إلى ازمة أيار في بيروتإذ أن السوريين تفاجؤوا و ارتبكوا بإجراءات حزب الله و من بين العناصر المريحة يظهر نجاح القمة العربية و حدود التأثير السعودي و المصري إضافة الى اطلاق حوار مع اسرائيل التي تقدم لاول مرة مساعدة حقيقية الى السوريين. لقد ساهمت هذه الجرعة في الوصول الى اتفاق الدوحة الذي لا يقدم في العمق اكثر من العرض الفرنسي، و لكنهم في هذه المرة قرروا ألا يتجاهلوا المسألة أنهم لعبوا بصورة جدية للمرة الاولى. هذا الأمر هو الذي بنى قوة ساركوزي الذي انفجر نهاية كانون الاول 2007 و سرعة عودته في أيار 2008، لقد فهم السوريون أن ساركوزي يمكنه أن يغادر طاولة المفاوضات و بذات الوقت يختار الفرص للعودة إذا توافرت بصورة فعلية[70].

بفضل سلوكه المرن أظهر الفريق الفرنسي قدرة على مراجعة مواقفه في سياق الأحداث الجارية، فمثلا في أيار 2008 قال دبلوماسي فرنسي أن « بشار بدأ يتكشف في الأسابيع الأخيرة،

---

[58] « لقد أدار ساركوزي الصفحة ولكن ليس بصورة نهائية، إنه يكره فكرة قبول الفشل و يريد أن يترك فرصة لتحويل ذلك إلى نجاح. الاتصال الهاتفي الذي أجراه غيان يمكن أن ذريعة للقول للسوريين أننا سوف لن نتحدث إليهم.. إنه مثل ذلك العاشق القديم الذي استخدم الهاتف ليقول لمعشوقه: هل أنت الذي اتصل بي؟» لقاء أجرته مجموعة الازمات مع مسؤول فرنسي، شباط 2008. إن اتصال غيان ربما نظر إليه على انه وسيلة لاستمرار قناة اتصال حذرة و أن سوريا سوف تعلنها. « يجب أن تحرك و نرد على اتصال غيان، بعد تصريحات ساركوزي و مبارك، إن تسريب الخبر الى سانا قد تم تنظيمه بكل تاكيد، لقد هددنا ساركوزي لقد تحول الى بوش جديد و شتما علنا و بعد ذلك يطلب من رجله و يده اليمنى للاتصال بنا لمحاولة الحفاظ على خطوط مفتوحة، انه امر غير مقبول.» لقاء اجرته مجموعة الازمات مع مسؤول سوري، دمشق شباط 2008.

[59] فمثلا فكرة دفع بعض العقوبات الاممية التي تمت مناقشتها بداية كانون الثاني تم التخلي عنها بسرعة « يفكر الفرنسيون بالتقدم بسكوى الى مجلس الامن للمطالبة بعقوبات على سوريا» لقاء أجرته مجموعة الأزمات الدولية مع مسؤول عربي ، القاهرة كانون الثاني 2008.

[60] لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي، دمشق أذار 2008.

[61] صحيفة الوطن السورية، 20 شباط 2008.

[62] لوفيغارو، 22 نيسان 2008.

[63] انظر موجز الشرق الاوسط 23 لمجموعة الازمات: لبنان، سلاح حزب الله يوجه الى الداخل.

[64] روبير مالي و بيتر هارلينغ، " فرنسا-سوريا: ساعة الحقيقة" لومنود 7 كانون الاول 2007.

[65] مبدئيا كان هذا الوفد، الذي يقوده رئيس جمعية الصداقة الفرنسية-السورية، كان سيلتقي رئيس البرلمان السوري في تشرين الثاني غير أن برنامج هذا الاخير كان لا يسمح بذلك قبل كانون الثاني 2008. لقاء اجرته مجموعة الازمات مع أحد اعضاء الوفد، باريس كانون الاول 2007. في كانون الثاني استقبل الوفد استقبالا يليق بزيارة دولة، تم استقباله من قبل الاسد و تم التعبير عن الزيارة في الصحافة المحلية كدليل على أن الارادة الفرنسية تصر على الحفاظ على علاقات جيدة مع دمشق. سانا 9 كانون الثاني 2008. صحيفة الوطن السورية ذكرت فيما بعد أن أكسل بونياتوسكي رئيس لجنة الشؤون الخارجية في الجمعية الوطنية وهو يشجع فرنسا على إعادة الحوار مع سوريا غذ انها لاعب لا يمكن تجاهله في المنطقة. الوطن 22 كانون الثاني 2008.

[66] انظر التقريرالذي سيصدر عن المجموعة حول العلاقات السورية الامريكية.

[67] لقاء اجرته مجموعة الازمات مع مسؤول سوري كبير، دمشق كانون الثاني 2008.

[68] لقاء اجرته مجموعة الازمات مع مسؤول سوري كبير، دمشق كانون الثاني 2008.

[69] عماد مغنية القائد العسكري الأسطوري لحزب الله وهو احد الاشخاص المطلوبين بشدة للولايات المتحدو و اسرائيل لمشاركته في هجمات ارهابية، قتل في قلب دمشق في 12 شباط 2008.

[70] لقاء أجرته مجموعة الازمات مع مسؤول فرنسي، تشرين الاول 2008.

عبر اتخاذ قرارات صعبة، كالبدء في حوار مع اسرائيل أو تحرير النظام الاقتصادي وهو نهج غير شعبي، وهو يتحاشى ارتكاب أخطاء كبيرة في لبنان. بهذا لقد أصبح محاورا اكثر مصداقية، نحن واعون أن سورية لم تلعب دورا محركا في الدوحة و لكن على الأقل لم تفشل الموضوع و بالنسبة لنا فإن الهواجس السورية في لبنان واضحة جدا[71].»

و أيضا و مباشرة بعد اتفاق الدوحة في 21 أيار 2008 أطلقت باريس هجوما دبلوماسيا. ففي اليوم التالي زار ألان لوروا، السفير المكلف بمشروع الاتحاد من أجل المتوسط، دمشق لمناقشة المشاركة السورية في القمة المرتقبة في باريس في 13 تموز2008[72]. و وفق مسؤول فرنسي قال أنه يجب الآن علينا أن « ندخل من الباب، من الشباك أو حتى من المدخنة إذا لزم الأمر» اقترح هذا المسؤول العودة الى الاتصالات على مستوى عال و محاولة التوسط حول مسألة مزارع شبعا و تقديم خبرة تقنية في المفاوضات السورية الاسرائيلية و الاستفادة من الرئاسة الدورية للاتحاد الأوروبي لاطلاق مبادئ الشراكة بين دمشق و الاتحاد الأوروبي[73].

و منذ ذلك الوقت بدات تسير بسرعة، إذ في 29 أيار اتصل ساركوزي بالأسد مفتتحا بذلك الحوار على أعلى مستوى عال. و في 15 حزيران عاد غيان و لوفيت الى دمشق يحملان رسالة من الأليزيه، إن وضع اتفاق الدوحة موضع التنفيذ فتح الطريق امام مشاركة سورية في قمة الاتحاد من اجل المتوسط التي حضر لها وليد المعلم بزيارته الى باريس و التي تلتها زيارة عبد الله الدردري نائب رئيس الوزراء للشؤون الاقتصادية. لقد قدم اعلان التبادل الدبلوماسي بين دمشق و بيروت خلال القمة ،وهو الذي كان قد اقترح بداية حزيران، قدم هذا الاعلان انتصارا كبيرا لفرنسا(حتى و إن أصرت سوريا أن باريس لم يكن لها أي دور)[74].

و في 13 آب تم ترتيب قمة بين الأسد و ميشال سليمان الرئيس اللبناني المنتخب حديثا و ذلك في دمشق و تم نقاش النقاط العالقة بين البلدين كترسيم الحدود و مراجعة الاتفاقيات الثنائية و توضيح مسألة المفقودين اللبنانيين في سوريا و شكل ذلك تحطيما لتابو حتى و إن كانت النتائج تبقى في انتظار تطور الواقع. و استغلت سوريا هذا الزخم لتسمية سفيرها في باريس و كرد على ذلك شارك ساركوزي في قمة رباعية في دمشق يومي 3 و 4 أيلول 2008 جمعت كل من سوريا، فرنسا تركيا و قطر.

إن هذا النشاط و البراغماتية للدبلوماسية الفرنسية تم التريحيب بها في سوريا و كذلك محدوديتها تجد تفهما: « ساركوزي رجل تكتيك لا أكثر و هذا لا يمكنه ان يصنع مستحيلة و هذا لا يخلق لنا مشكلة، كل ما فعله هو تغطية الفراغ الذي تركته إدارة بوش[75].» و على الرغم من إشارات الصداقة التي أرسلها ساركوزي للأسد[76] إلا أن دمشق تظل واعية أن المصالح لها الغلبة. كما ترى دمشق في فرنسا بأنها يمكنها ان تشكل لها جسرا لعلاقات جيدة مع أوروبا و الولايات المتحدة[77]، فإن فرنسا أيضا ترى في سوريا أداة عبرها تبحث عن موطئ قدم في الشرق الأوسط. « برأيي أن التقارب الذي أبداه ساركوزي للبنان ليس لحد ذاته بقدر ما هو تقارب مع دمشق، بوابة دخول فرنسا الى المنطقة، الوضع في بيروت تتخلله مشاكل يمكن لدمشق ان تساعد في حلها، في الجوهر ساركوزي اقترح على بشار: ساعدني للتخلص من الهستيريا اللبنانية في الصحافة و الدبلوماسية الفرنسية و يمكننا أن ننطلق باتجاه حزمة من الملفات[78].»

من الجانب الفرنسي يتم توصيف أيضا علاقة جيدة مبنية على أخداف دقيقية.

إن تجربتنا مع سوريا تحملنا على الرضا، بمعنى أن الأسد بدأ بخطوات، نحن الآن نتقدم على أسس تقييمية تحوي أربع عناوين، و الهدف هو الوصول الى تقييم شامل بدلا من التركيز على بعض النقاط. أولا لبنان، يعد إعلان تبادل السفارت سابقة هامة، و هناك ثلاث لجان تنكب على دلراسة مسألة ترسيم الحدود و إعادة فحص الاتفاقيات الثنائية و كذلك مسألة المفقودين. و يبقى هناك المزيد لعمله و لكن الاسد أظهر أنه يريد الذهاب أكثر. ثانيا المفاوضات غير المباشرة مع اسرائيل شكلت قناعة جديدة و لكن أن نعرف أن سوريا تفاوض بصورة جدية أم لا. ثالثا حول الملف النووي الإيراني، فإن الأسد وافق على بذل جهود، إنه لا يستطيع أن يحصل على الكثير من الإيرانيين و لكن هذا على الأقبل يجبره على الاهتمام بالتفاصيل، الأمر الذي سيدخل بعض الشكوك في تفكيره[79]. رابعا ما يتعلق بحقوق الانسان وهو

[71] لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي، أيار 2008.
[72] www.ambafrance-sy.org/spip.php?rubrique49
[73] لقاء مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي، أيار 2008.
[74] « إت هذا ليس تنازلا لفرنسا، إذا كنا سنقوم بتنازلات لقمنا بها منذ ثلاث سنوات عندما كنا تحت ضغوط كبيرةز لقد بدأت الحديث عن تبادل السفارات مع الرئيس لحود و نبيه بري منذ 2005 و لكن حينها كانت الضغوط قد بدات وهي أي الضغوط هي التي أوقفت ذلك المسار. ساركوزي اليوم يريد أن يظهر و كانه صاحب هذا الانجاز و لكن لا يوجد اي علاقة بذلك. في الحقيقة إن الفرنسيين يعرفون أننا قمنا بذلك ليس من أجلهم.» لقاء مجموعة الازمات مع مسؤول سوري كبير، تشرين الاول 2008.

[75] لقاء مجموعة الازمات مع محلل سوري، دمشق أيلول 2008. « ساركوزي رجل براغماتي يعرف كيف ينتهز الفرص و يظهر و كانه يعرف التفاصيلو يعرف كيفية إيجاد أرضية توافق» لقاء اجرته مجموعة الازمات مع مسؤول سوري كبير، دمشق تشرين الاول 2008.
[76] « لا يمكنكم تصور كيف هي الامور مع ساركوزي الذي كان يهاجمنا في الماضي، نحن لم نتغير و لكنه هو الذي تغير، الرئيس حدثني عن بعض الطرف الشخصية حول كيف يتعامل معه ساركوزي إنه أمر غير متوقع» لقاء اجرته مجموعة الازمات مع مسؤول سوري، دمشق أيلول 2008.
[77] « في العموم فإن الفرنسيين سيستخدمون كأداة لتسهيل الحوار مع الامريكيين و الاوروبيين. لا توجد أشياء كثيرة يمكن أن يقدمها الفرنسيون بأنفسهم.» لقاء مجموعات الازمات مع صحفي سوري، دمشق حزيران 2008.
[78] لقاء مجموعة الازمات مع محلل سوري، دمشق أيلول 2008.
[79] « صاحب فكرة ادخال الموضوع الإيراني في العلاقات السورية الفرنسية هو ساركوزي، و بشار وجد في ذلك نوعا من الاطراء، لم يحصل على شيء من الإيرانيين و لكنه و مع ذلك وجد نفسه مضطرا للإهتمام بالموضوع، فهو لا يمكنه أن يقبل فقط من الإيرانيين أن هذا

أمر كارثي. نحن لا نتخلى عن الصرامة، فحماية سيادة لبنان و التقدم في عمل المحكمة الدولية هم موضوعات غير قابلة للمساومة. مثال آخر يتعلق بمنظمة الطاقة الذرية التي تعد ملفا يبدو أنه مرهق للبرنامج النووي السوري و لكن في المقابل سوف لن نساعد في هذا الموضوع فنحن لسنا أصدقائهم و ليس حلفائهم أيضا[80].

هناك شكوك لدى البعض فيما يتعلق بتطبيع العلاقات السورية اللبنانية و حتى و إن كانت البراغماتية هي التي تدفع هذا الموضوع[81]. لقد فشلت فرنسا أيضا، على الأقل حتى اللحظة، في اقناع مصر و العربية السعودية لدعم خطواتها[82]و في العموم فإن المسار ظل خاضعا للتجربة:

نحن نعترف أن مقاربتنا قد لا تنجح و لكننا نحاول شيئا آخر من جديد، بطبيعة الحال هناك أفضلية لسوريا للعب بنا، و نقوم بجهد لتهدئة المخاوف الدولية، في الولايات المتحدة و لدى بعض شركائنا الأوروبيين و لكن أيضا مع مصر و العربية السعودية مع التأكيد أن ساركوزي لا يعطي شيئا إذا لم يحصل على مقابل. إن مقاربتنا تحمل طابع المحاولة و البراغماتية و تهدف شيئا فشيئا لوضع المؤسسات اللبنانية على الطريق الصحيح و تطبيع العلاقات بين الجارين كل هذا مع التزام بالحوار مع سوريا[83].

إن هذا الحذر لم يمنع من متابعة الأهداف الطموحة نسبيا، إذ أن المحورين الأساسيين الذين تم اقتراحهم للتعاون في الوقت الحالي يبدو أنه تدور حول مشاركة فرنسية في المفاوضات السورية الاسرائيلية و تعاون واسع في مجال مكافحة الارهاب، هذا ما تم استنتاجه من خلال الزيارة الأخيرة التي قام بها غيان إلى دمشق يومي 29 و 30 تشرين الثاني 2008:

تركز الاهتمام قبل كل شيء حول المسار السوري الاسرائيلي، يفضل الفرنسيون بطبيعة الحال أن تقود الولايات المتحدة هذه العملية، و لكن يفكرون في دور محدد لفرنسا، الذي يمكن أن يستضيف هذه المفاوضات في فرنسا[84]، الملف الآخر المهم تمحور حول التعاون بين الأجهزة الامنية، لقد فتحت سوريا أضابيرها و قدمت معلومات دقيقة جدا حول الاحداث الأخيرة على أراضيها و قضية (المجموعة الجهادية) فتح الاسلام. لم يكن لبنا هو الاهتمام الوحيد[85].

هناك نقطة أخيرة يمكن أن تكون متابعة الدور السوري في للملف النووي الإيراني[86]. و فرنسا حينها يمكنها أن تذهب إلى ابعد من ذلك وفق الخطوط المرسومة من أعلى. إن الخطر الماثل امام باريس اليوم يتمثل في الاكتفاء بضربة سياسية في الوقت أنه حينها يجب اعتماد سياسة بالمعنى الكامل للكلمة، غير أن الفريق الفرنسي و مساوئ صفاته: المتركز بصورة قوية حول البيروقراطية التقليدية و لكن بإمكانه اظهار روح ابداعية غير تقليدية و لكن يظل قاصرا بحكم نقص المتابعة.

يجب أن نعترف بضعفنا، لينا نظام ضعيف (على مستوى المؤسسات)، الإيجابية أن هذا يمكننا من الحركة بسرعة و مرونة أما ما هو سلبي فإنه لا يوجد أحد لإدارة الملف وضمان متابعته،إن تطوير العلاقات مع سوريا تم فقط على قاعدة الساعات الإضافية، لا نملك الوسائل لذلك، فمثلا انخفضت ميزانية التعون مع سوريا بنسبة 10% مقارنة بالسنة الماضية، و في الأليزيه هناك شخص واحد يدير هذا

برنامج مدني، سوف يطرح أسئلة دقيقة». لقاء اجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي، دمشق تشرين الاول 2008. أشار مسؤول تركي بأنه بفضل علاقات دمشق الجيدة مع طهران فإن سوريا يمكنها على الأقل المساهمة في قراءة دقيقة للهامش الذي يمكن أن تتحرك فيه المجموعة الدولية. « الاجتماع الرباعي لم يحمل شيئا إلا تظاهرة دعم لسوريا و لكن في العمق فإن إثارة الملف الإيراني بالطريقة التي أثير بها في النقاشات، يبدو مهما. لقد قال الأسد أن إيقاف التخصيب غير ممكن سياسيا لإيران و لكن فقط ضمن صفقة تضمن مراقبة شاملة و فعالة.» لقاء مجموعة الازمات مع مسؤول تركي، تشرين الاول 2008. و وفق مسؤول عربي له علاقات واسعة مع إيران، فإن طهران لم تنظر بجدية في الوساطة السورية. « إيران تعتبر نفسها قوة إقليمية و إذا كانت فرنسا ترغب في الحديث إليها فلتحدثها بصورة مباشرة و خاصة من دون سوريا.» لقاء مجموعة الأزمات، تشرين الاول 2008.

[80] لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي كبير، باريس تشرين الثاني 2008.

[81] « حول لبنان يجب أن لا نكتفي بسيناريوهات ملائكية إذ يمكن أن نعود إلى الممارسات السابقة، أو نوع من التعون الأمني المعمق حيث تتمكن سوريا من قيادة الأجهزة الأمنية اللبنانية. إن موقفنا الرسمي هو أن نقول " إن تبادل السفارات أمر جيد و لكن نحن ننتظر مسألة ترسيم الحدود و الملفات الأخرى" و لكن أعتقد أن الملفات الأخرى مرتبطة بمدى تقدم المفاوضات السورية الاسرائيلية، و في هذا المجال فإن قيادتنا يجب عليها أن لا تذهب بعيدا لأهداف غير واقعية.» لقاء أجرته مجموعة الازمات مع مسؤول فرنسي، تشرين الاول 2008. إن هذه الاهتمامات مثارة بصورة واسعة في صفوف قوى 14 أذار« للذين يريدون التحاور مع سوريا أقول نعم و لكن لا تضحوا بلبنان إذا كانت الإدارة الامريكية القادمة تريد الدخول في حوار مع سوريا فإن ذلك يقودنا الى دفع جماعات الضغط الخاصة بنا حتى نضمن ان ذلك لن يكون على حساب نجاحاتنا في لبنان. يجب تسهيل تطبيع العلاقات السورية اللبنانية و لكن يجب ان لا نذهب بعيدا، إنه أمر دقيق و صعب إنها ليست علاقة متوازنةأنهم أقوى منل بكثير بكل بساطة.» لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول كبير من 14 أذار، بيروت تشرين الأول 2008.

[82] « إحدى حججنا هو إننا طلبنا من المصريين و السعوديين أن يدعمونا من أجل بناء قطب عربي قادر على مواجهة إيران، و مع ذلك فإن هذه الحجة لم تجد سندا منهم.» لقاء مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي، دمشق تشرين الاول 2008.

[83] لقاء مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي، نيويورك تشرين الاول 2008.

[84] هناك ترجمة أخرى: « تفضل فرنسا أن تكون جولة خامسة و سادسة من المفاضات تتم تحت رعاية فرنسية تركية قبل أن تلتحق الولايات المتحدة بالعملية، الكل يعلم أن الولايات المتحدة يجب أن جزءا من العملية.» لقاء أجرته مجموعة الازمات مع مسؤول فرنسي كبير، دمشق تشرين الاول 2008.

[85] لقاء مجموعة الأزمات مع مستشار سوري، دمشق كانون الاول 2008.

[86] «إن زيارة غيان كانت مثمرة جدا وهو يتطلع الى الامام، يبدو أن الفرنسيين مهتمين قبل كل شيء بالمسار السوري الاسرائيلي و لبنان لم يكن حاضرا بكثافة في البرنامج، هم يريدون أيضا أن نعيد الاتصال مع إيران حول مسألة البرنامج النووي.» لقاء مجموعة الأزمات مع مسؤول سوري، دمشق كانون الاول 2008.

الملف (العلاقات مع سوريا) وهو وحيد، ووزارة الخارجية ليست هي التي تخطط لسياستنا الخارجية بل إنها كانت غائبة في حالة سوريا مثلا[87].

VI. الدروس المستخلصة

إن العمل التجريبي للدبلوماسية الفرنسية لم يصل بعد إلى مرحلة استخلاص النتائج بصورة نهائية، و لكن مع ذلك فإن ذلك يقدم دروسا لإدارة أمريكية حيث أن مقاربتها سوف لن تكون إلا غير مؤكدة و "تجريبية". إنه في موضع آخر يعد إثباتا فرنسيا: « أعتقد ان السوريين يعولون كثيرا على الإدارة الأمريكية القادمة كثيرا، سيشكل الاحباط الحاصل فرصة ممكنة لفرنسا بصورة خاصة سنكون في وضعية جيدة لنتمكن من تمرير رسائل[88].» إن النقاط التالية تستحق اهتماما خاصا:

- إن التعريف الواضح للثوابت من أجل تطبيع العلاقات البينية هو الذي شكل مصدر الثبات و النشاط الفرنسي على الرغم من الشكوك العميقة و الضغوط الكثيفة التي تعرض لها المسؤولين عن الملف.
- من المهم أن يتم الاصرار في نفس الوقت على الصبر في مرحلة المفاوضات و على السرعة في اللحظة التي تبدأ فيها ملامح الحل بالضهور، إن التعجل الذي طبع التحرك الفرنسي في 2007 لم يكن مفيدا بال بالعكس كانت نتائجه سلبية إذأن ذلك شجع دمشق على اضهار مطالبها و العمل على ربح الوقت[89]، بالمقابل و عبر تقدير سريع للإشارات الأولى للسوريين فإن فرنسا تمكنت من ابراز مصداقيتها و دفع دمشق الى الاتزام اكثر بالمسار[90].
- بعد فترة طويلة من انقطاع العلاقات يصبح من الضروري المرور بمرحلة طويلة من المراقبة المتبادلة و فحص للفرص و الامكانيات و إعادة بناء علاقات الثقة، في الحالة الفرنسية السورية فإن جزء من عدم الفهم المتبادل ساهم في الفشل عام 2007، في حين أن الحوار عاد من جديد بعد مضي سبعة أشهر أخرى.
- بناء علاقة مباشرة مع الرئيس عملية هامة جدا، و لكن ذلك بحد ذاته لا يقدم شيئا. في الوقت الذي كان فيه الأليزيه يتجاوز الدبلوماسية التقليدية عبر مبعوثيه الكبار فإن دور السفارة الفرنسية في دمشق كان دقيقا للغاية، إذ كانت تقوم بتحديث الرؤية الفرنسية على الدوام و تعمل على بناء مقترحات ملموسة و تكتشف قنوات جديدة و تعمل على قياس و تقييم الحراك السوري.
- ليس هناك مبرر لاستبعاد فترات انقطاع ضمن سياق مسار إعادة الحوار طالما تم الحفاظ على خطوط اتصال للتعامل بسرعة مع أي فرصة تبرز فيها شروط الحوار من جديد.
- يجب انتظار أن القرارات السورية قد يتم اتخاذها وفق اعتبارات متعددة التي أن تتجاوز من بعيد إطار المكافئت أو العقوبات التي تنظم العلاقات الثنائية، إذ أن سوريا استجابت للانفتاح الفرنسي في لحظة لم تكن منتظرة و على قاعدة اهداف لا يمكن لفرنسا أن توفرها[91].
- في حين كانت فرنسا تعتقد أن مسألة المحكمة الدولية هي حجر الزاوي للسياسة السورية في لبنان، فإن الأحداث أظهرت أن دمشق يمكنها أن تتبنى موقفا بناءا و البدء بتقارب مع باريس دون أي تنازلات في هذا الموضوع. هذا لا يعني بطبيعة الحال أن تعود الأمور إلى توتر ممكن عندما يعلن المدعي العام قائمة المتهمين.
- حول لبنان، لقد قبلت سوريا القيام بإشارات كانت إلى وقت قريب ترفضها على الرغم من الضغوط الدولية، إن الخطوات الفرنسية اقترحت علاقة تبادلية بين تعميق العلاقات السورية الفرنسية و بين التطبيع في لبنان كل ذلك مع اظهار قدر كاف من الصلابة. إن الإدارة القادمة بإمكانها الاستفادة و تبني خطوات يكون فيه لكل تقدم ما يكافئه و كل تراجع يجلب معه العقاب.
- أثناء لعبها بورقة تقاربها مع فرنسا أظهرت سوريا بوضوح نيتها لتوسيع تحالفاتها الاستراتيجية بغاية إعادة التوازن لعدد من الملفات. إن انقطاع للعلاقات السورية الإيرانية هو مجرد مراهنة على الأقل في الظروف الراهنة. و لكن تنويع هذه العلاقات يجب أن تجد التشجيع من الولايات المتحدة بصورة خاصة: إذ أن ذلك سوف يساعد على اضعاف أهمية العلاقات مع إيران في عيون السوريين و يساعد على إعادة تعريف و بناء تحالفاتهم على قاعدة حسابا اكثر تعقيدا.

---

[87] لقاء مجموعة الازمات مع مسؤول فرنسي، تشرين الأول 2008.
[88] لقاء مجموعة الازمات مع مسؤول فرنسي كبير، باريس تشرين الثاني 2008.
[89] « يجب على الأمريكيين أن يعيدوا الحوار و لكن ليس بسرعة، صحيح أنهم بلهاء و حينها يجب أن تكون لديك ملعقة طويلة حتى تاكل مع الشيطان، ذلك أنهم قد يجازفون بسذاجة أو بعنف، كما يجب أيضا أن لا يتقدموا بطلبات مباشرة و إلا فإن وليد المعلم و الآخرون سوف يعلنون المزاد، و تلك كانت الصعوبة الكبرى التي اعترضتنا: إيجاد الأسلوب الصحيح و الجرعة المناسبة التي يمكنها أن تشدهم و أن لا تثير فيهم نزعة السمسرة إلى النهاية.» لقاء أجرته مجموعة الأزمات مع مسؤول فرنسي، تشرين الاول 2008.
[90] لقد تبين أن هذه المقاربة أكثر فعالية بقدر ما هي تتناقض مع مواقف إدارة بوش. « إنها ليس ما قامت به إدارة بوش، كانوا عدوانيين و أظهروا عنجهية عقيمة و إذا قدم السوريو أشياء إيجابية فإنهم يتجاهلون ذلك و كأنها أشياء لا تذكر و يطلبون المزيد، يجب على الأمريكيين أن لا يطلبوا أشياء عائمة التي لا يمكن قياسها أو مراجعتها، يجب أن يركزوا على أشياء إيجابية و محددة وملموسة و ذات اجاه واحد.» لقاء مجموعة الازمات مع مسؤول كبير في 14 أذار، بيروت تشرين الاول 2008.
[91] قبل الدوحة أشار مسؤول فرنسي إلى حدود ما يمكن أن تقدمه فرنسا:« الازمة اللبنانية لا يمكن أن تحل قبل أن تحصل سوريا على ارتياح حول حزمة من الرهانات التي لا يمكن لفرنسا أن تقدمها بسبب توازن القوى في لبنان و الديناميات الإقليمية و المسائل الداخلية في لبنان التي يجب تجاوزها و خاصة مشكلة عون.» لقاء مجموعة الأزمات مع دبلوماسي فرنسي، واشنطن شباط 2007.

- إن رسم حساب كلي للانفتاح الدبلوماسي على سوريا يجب أن يحمل في طياته نوعا من الحذر، إذ يجب أن يأخذ في الاعتبار مدة زمنية طويلة (أشهر) و أن يعمل على إيجاد تقاطعات مع متغيرات مختلفة، إن نتائج التجربة الفرنسية تظل غير ثابتة و غير مؤكدة و ربما للبعض قابلة للتراجع. و لكن بنفس الوقت قد يكون لها أثرا واقعيا و طويل الأمد. إن انتظار ردود فعل سورية سريعة استجابة لرغبات الإدارة القادمة يظل أمرا وهميا. إن الصعوبة تكمن في صياغة توقعات واضحة و مكافأة المواقف الإيجابية مع ادراج الاجوبة غير المرضية ضمن سياق طويل الامد بمعنى مواجهتها بعقاب دون قطع العلاقات بصورة نهائية.

دمشق / بروكسل 15 كانون الثاني/يناير 2009

International Crisis Group
WORKING TO PREVENT CONFLICT WORLDWIDE

International Headquarters
149 Avenue Louise, 1050 Brussels, Belgium · Tel: +32 2 502 90 38 · Fax: +32 2 502 50 38
E-mail: brussels@crisisgroup.org

New York Office
420 Lexington Avenue, Suite 2640, New York 10170 · Tel: +1 212 813 0820 · Fax: +1 212 813 0825
E-mail: newyork@crisisgroup.org

Washington Office
1629 K Street, Suite 450, Washington DC 20006 · Tel: +1 202 785 1601 · Fax: +1 202 785 1630
E-mail: washington@crisisgroup.org

London Office
48 Gray's Inn Road, London WC1X 8LT · Tel: +44 20 7831 1436 · Fax: +44 20 7242 8135
E-mail: london@crisisgroup.org

Moscow Office
Belomorskaya st., 14-1 – Moscow 125195 Russia · Tel/Fax: +7-495-455-9798
E-mail: moscow@crisisgroup.org

Regional Offices and Field Representation
Crisis Group also operates out of over 25 different locations in Africa, Asia, Europe, the Middle East and Latin America.

See www.crisisgroup.org for details.

www.crisisgroup.org